

ملامح الإصلاح في تفسير محمد الخضر حسين-العقيدة نموذجا-

Features of the reform in the interpretation of Mohammed Al Khodr Hussein - the model doctrine

طلحة سمية

بقدر حليمة سعدية

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر) udamha13000@gmail.com

halimabekaddour2@gmail.com جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

تاريخ النشر: 20/09/2024

تاريخ القبول: 20/09/2024

تاريخ الاستلام: 03/09/2024

ملخص:

محمد الخضر حسين رائد من رواد الوسطية والتجديد في القرن الرابع عشر، ولد في تونس وأصل أسرته من الجزائر، ولقد عني الشيخ محمد الخضر حسين عناية بالغة وعظيمة للقرآن الكريم، فكانت جهوده بارزة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، فسخر الشيخ رحمه الله فهمه العميق لكتاب الله في إصلاح المجتمع، وسيكون الحديث في هذه المداخلة حول ملامح الإصلاح في تفسيره في جانب العقيدة، وقد حوت هذه الورقات على محورين، أولها التعريف بالشيخ محمد الخضر حسين، وأما الثاني فخصص لملامح الإصلاح في تفسيره لآيات القرآن الكريم سواء في مؤلفاته - أسرار التنزيل، بلاغة القرآن -.

كلمات مفتاحية: محمد الخضر حسين، التفسير، الإصلاح، العقيدة.

Abstract:

Mohammed Al Khader Hussein Raid of the Pioneers of Centrism and Renewal in the 14th Century Al-KhaderHusayn was born in Tunisia and his family's origin is from Algeria. In the service of the Holy Quran and its science, the Sheikh gave his mercy to God's deep understanding of the Book of God in the reform of society. And this intervention will be about the features of reform in its interpretation on the side of belief, These papers

were held on two axes, the first of which was the introduction of elder Mohammed Al-Khodr Hussein, The second was devoted to the features of reform in its interpretation of the Holy Qur 'an verses, whether in their authors - the secrets of download, the rhetoric of the Qur' an -.

Keywords: Mohammed Al Khader Hussein, Interpretation, Reform, Creed.

¹المؤلف المرسل: طلحة سمية

1. مقدمة:

محمد الخضر حسين رائد من رواد الوسطية والتجديد في القرن الرابع عشر، ولد في تونس وأصل أسرته من الجزائر، ولقد عنى الشيخ محمد الخضر حسين عناية بالغة وعظيمة للقرآن الكريم، فكانت جهوده بارزة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، فسخر الشيخ رحمه الله فهمه العميق لكتاب الله في إصلاح المجتمع، وسيكون الحديث في هذه المداخل حول ملاحم الإصلاح في تفسيره في جانب العقيدة، وقد حوت هذه الورقات على محورين، أولها التعريف بالشيخ محمد الخضر حسين، وأما الثاني فخصص لملاحم الإصلاح في تفسيره آيات القرآن الكريم سواء في مؤلفاته- أسرار التنزيل، بلاغة القرآن-.

2. حياة الشيخ محمد الخضر حسين

1.2 مولده ونشأته :

ولد الشيخ محمد الخضر حسين " بمدينة نفطة بالقطر التونسي في 26 رجب 1293 هـ " (تيمور باشا، 2017، صفحة 261) الموافق ل 21 جويلية 1873 م . وينتمي الشيخ محمد الخضر لعائلة علم وأدب ، وشهرة "فوالده الشيخ الحسين بن علي بن عمر ، المعروف والمشهود له بالتقي و الصلاح و الزهد

ووالدته حليلة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزوز " (محمد الخضر، 2017)، الذي هاجر من الجزائر إلى نفطة بتونس عند احتلال بسكرة سنة 1843م من قبل الاستعمار الفرنسي " وأسس بها زاوية رحمانية أصبحت ذات شهرة واسعة في العلم والتصوف وملجأً للهاربين من ظلم الاستعمار الفرنسي ، سيما قبل احتلال تونس 1881 " (أبو القاسم سعد الله، 1998، صفحة 146) فأصول الشيخ محمد الخضر تعود للجزائر رغم ولادته ونشأته في تونس ، يقول الشيخ الخضر حسين عند سؤاله عن مدة إقامته في مصر قال " لي الآن ثلاثون عاما في مصر وأصلي من الجزائر ومولدي تونس " (الندوي، 1978، صفحة 89)

تلقى الشيخ محمد الخضر حسين علومه في السنوات الأولى عن والدته حليمة ، وحفظ القرآن من صغره على يد شيخه عبد الحفيظ الموشي ، وكان لخاله العلامة محمد المكي بن عزوز الفضل في تعليمه وتثقيفه والعناية به .(محمد الخضر، 2017، صفحة 12)

2.2 رحلات الشيخ الخضر حسين :

بعد تلقي الشيخ محمد الخضر حسين العلم ونشأته في جو عائلي مفعم بالثقافة والعلم والأدب، واصل مساره العلمي بالدراسة في كلية الزيتونة وذلك بعد رحيله مع عائلته إلى تونس واستقر فيها من 1306هـ إلى حوالي 1328هـ امتازت هذه الفترة بالتعلم واكتساب المعارف والعلوم والاستفادة من مشايخ وعلماء الزيتونة مثل عمر بن الشيخ والشيخ محمد النجار كانا يدرسانه التفسير وغيرها ، فأفاد واستفاد وفي سنة 1321 هـ انشأ مجلة السعادة العظمى ، ولقي في سبيل بث رأيه الإصلاحية مايلقاه كل من سلك هذا المسلك .

ثم رحل إلى الجزائر فزار أمهات مدنها ، وألقى بها الدروس المفيدة ثم انتقل بعدها إلى دمشق واستقر فيها سنة 1912 م عن سن يناهز الأربعين تكونت عنده مجموعة من المعرفة وزاد مستواه العلمي ، وكان يدرس هناك اللغة العربية والفلسفة بالمدرسة السلطانية ، وبقي كذلك إلى أن اتهمه مدة الحرب العظمى جمال باشا حاكم سوريا بكتهم حال المتآمرين على الدولة ، فاعتقل أشهر وأطلق بعدها سراحه .

ثم انتقل بعدها إلى ألمانيا ثم القاهرة "مصر" واستقر فيها مدة طويلة ارتقى خلالها إلى أعلى الدرجات العلمية والعملية فشكل عدة مجلات وجمعيات كجمعية الهداية الإسلامية ومجلة كنوز الإسلام ، كما ترأس إمامته لمشيخة الأزهر . (تيمور باشا، 2017، الصفحات 291-293)

3.2 المسار العلمي للشيخ محمد الخضر حسين :

امتاز الشيخ محمد الخضر خلال رحلاته بقوة علمه وإبراز شخصيته ومكانته في كل دولة انتقل إليها حيث شغل حيزاً واسعاً بنشاطاته ومحاضراته والتدريس في الجامعات وإلقاء الدروس في المساجد وتأليف الكتب وإنشاء جمعيات ومجلات كما سبق وأن أشرنا إلى بعضها .

فكان الخضر حسين إماماً مفسراً ولغوياً وصاحب معرفة بعلوم القرآن والسيرة النبوية وعدة علوم أخرى، ألقى عدة محاضرات في السيرة النبوية، وله رسالة بحجم صغير بعنوان " محمد رسول الله وخاتم النبيين " .

ومن أهم عطاءاته اللغوية كتاب " القياس في اللغة العربية " الذي نال به عضوية هيئة كبار العلماء بالقاهرة ، وضمت لغوياته في كتابين : " دراسات في العربية و تاريخها " و " دراسات في العربية " كما أنشأ قصائد مطولة وعديدة حول مكانة اللغة العربية .

والشيخ محمد الخضر الحسين من الدعاة للإصلاح والتجديد من مطلع حياته حتى آخر عمره ، و له كتابان هامان حول الإصلاح هما " الدعوة إلى الإصلاح " و " رسائل الإصلاح " ، فقد بين كل ما يخص الدعوة من آداب و إخلاص وطرق ... فهدفه من هذا دفع كل ما يشوب حول الدعوة من أهل الفتن والملل . (محمد الخضر، 2017، صفحة 22)

يقول البيومي " فالرجل [يقصد به محمد الخضر] قاض فقيه ، يكتب في الأصول والتشريع و التاريخ كتابة المتعمق الدقيق ، وقد كان يدرس لطلاب كلية أصول الدين أبواباً من السياسة الشرعية ، يغوص فيها مغاص الأصولي الجدلي المتكلم النظّار . ثم هو من صاحب رسائل أدبية ، ومقالات تحليلية ، وديوان شعري ، يجعله في طليعة أرباب الفن الرفيع . " (رجب البيومي، 1995، صفحة 52)

توفي الشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله - في "1378هـ الموافق ل 1909 م ودفن بجوار جثمان المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا بمدافن الأسرة التيمورية بالإمام الشافعي رضي الله عنه بناءً على وصيته بذلك " (تيمور باشا، 2017، صفحة 293)

3. ملامح الإصلاح في تفسير محمد الخضر حسين في الجانب العقدي

كلّ الأزمات التي تحصل للمسلمين اليوم هي أزمات مفتعلة، ومردّها كلّها إلى أزمة واحدة، وهي الأزمة في العقيدة، ولذا فقد كان إصلاح العقيدة سبباً في صلاح حال الأمة في الدنيا والآخرة، ولأجل ذلك فقد اهتم الكثير من علمائنا بربط الآيات القرآنية والوقائع المعاصرة له، ومن بين الذين عرفوا بارتباطهم وتعلّقهم بالكتاب العزيز فهما وتدبّرا الشيخ محمد الخضر حسين، وفي هذه الورقات سيكون الحديث حول شمول تفسير الشيخ المسمّى "أسرار التنزيل" على الجانب العقدي. يقول الشيخ حسين: "من كفر بالله وعصاه فقد أفسد في الأرض، وإنّما تصلح الأرض بالتوحيد والطاعة" (محمد الخضر، 2017، صفحة 29)، من قوله هذا يمكن اعتبار دعوته للإصلاح والتّجديد انطلاقة من أهمّ المقومات التي بنى عليها تفسيره في الجانب العقدي وهي كالاتي:

3.1. الإرشاد إلى العقيدة الصحيحة

يقول سيد سابق: "...العقيدة إنّما يقصد بها تهذيب السلوك، وتركيز النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى - فضلاً عن أنّها حقائق ثابتة - وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق، وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية، حيث إنّ للدين سلطاناً على القلوب والنفوس، وتأثيراً على المشاعر والأحاسيس، ولا يكاد يدانيه في سلطانه وتأثيره شيء آخر من الوسائل التي ابتكرها العلماء والحكماء، ورجال التربية، فغرس العقيدة في النفوس هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملاً في الحياة وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو أنفع وأرشد" (سيد سابق، صفحة 10)، ولقد كانت الدعوة إلى العقيدة السويّة المستقيمة أول ما قام به الرّسل أجمعين صلوات الله عليهم، وقد ساق الشيخ محمد الخضر في العديد من المواضع الدعوة إلى التحلّي بالآداب الإسلامية والتّحذير من البدع لتكوين مجتمع صالح سليم العقيدة.

2.3 التّحذير من الفرق الضالّة

لقد ساق الشيخ محمد الخضر في عديد من المواضع الردّ على الطّوائف العقائدية المعادية للإسلام التي عاشرها في عصره مبيناً فساد معتقدتهم والتّحذير من مظاهر الشّرك، ولقد كان للاستعمار دخل في صناعة هته الطّوائف وكان هدفه ضرب الإسلام من طرف من يتّسمون بأسماء إسلامية، فمثلاً عند تفسيره قوله تعالى: " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون" (البقرة/22)، فلقد أدخل الشّيخ هنا ممن يجعلون لله أندادا شركاء وهي الطائفة البهائية التي تعتقد بإلاهية زعيم مذهبهم، واعتبرهم فرقا ضالة وحذّر من العقيدة الشّركية للفرق المعاصرة (مریم بوعافيا، 2018، صفحة 94)، للنّهوض بمجتمع يوحد الله توحيدا خالصا.

3. الدّعوة إلى إحياء الخصال التي من شأنها المساعدة في التخلّص من العدوّ

إنّ من أهمّ ما ركّز عليه المصلحون في العصر الحديث هو واقع الدّلّ والانحطاط الذي آل إليه المسلمون، وكان الشيخ محمد الخضر أحد هؤلاء المصلحين الذين وظّفوا في تفاسيرهم الخصال التي هدانا إليها القرآن الحكيم، فلمس عند تفسيره مثلاً لقوله تعالى في سورة الأنفال: " واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم النّاس فأواكم وأيدكم بنصره"، أنّ أولئك الرّجال يؤمنون بالله إيماناً صادقا ويصبرون للبلاء... كانوا ينظرون إلى العدوّ بعين الحذر، فمن خلال قوله هذا نلاحظ أنّه يربط سبب ضعف المسلمين في عصره إنّما هو نتيجة لتخليّهم وابتعادهم عن سنن الله. (مریم بوعافيا، 2018، صفحة 95)

4. خاتمة

في نهاية هذه المداخلة الوجيزة نتطرق إلى أهم النتائج المستخلصة، وهي:

- الشيخ محمد الخضر الحسين عالم من العلماء الأجلاء له باع واسع لعديد من العلوم .
- تمكن الشيخ الخضر بشخصيته القوية وعلمه الغزير من ترك أثر في كل دولة ارتحل إليها .
- رجوع الشيخ محمد الخضر حسين إلى واقعه المعاش في تفسيره، للإحاطة بالمشكلة إحاطة دقيقة تمكّنه في النيل من خصومه، وهو بهذا يعطي منهجا للمصلحين في دعواهم.
- تصدّي الشيخ محمد حسين لأصحاب العقيدة الفاسدة داخل مجتمعه ممّا يوجد حقلا جديدا للمفسّر وذلك بمحاربة الأفكار التي تهدم عقيدة المسلمين من الداخل.
- غزارة الجوانب الإصلاحية التي تحتاجها المجتمعات ومن بينها الجزائر في تفسيره، ممّا يولّد أمنا يشعر به المسلم اتّجاه القرآن العظيم وأنّه دستور يضمن السّلامة والتطوّر وبناء الأخلاق في آن واحد.

5. قائمة المراجع

1. أحمد تيمور باشا، 2017، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، مؤسسة هنداوي المملكة المتحدة .
2. لإمام محمد الخضر حسين، 1431-2010 ، موسوعة الأعمال الكاملة ، دار النوادر سوريا لبنان الكويت .
3. أبو القاسم سعد الله، 1998 ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي بيروت.
4. أبو الحسن علي الحسني الندوي، 1398-1978م ، مذكرات سائح في الشرق العربي مؤسسة الرسالة بيروت سوريا.
5. محمد رجب البيومي، 1415هـ - 1995م ، النهضة الإسلامية في سير أعلاما المعاصرين دار القلم دمشق دار الشامية بيروت .
6. سيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت.
7. مريم بوعافية، 2018، مجلة المعيار تنزيل الآيات على الواقع عند محمد الخضر حسين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.